

التوضيح على مختصر البردوي . اما اذا سألتني عن العلامة الاول في مقابلة العلامة الثاني فاني لا أتذكره الآن وان صدق ظني يكون هو عبدالقاهر الجرجاني ولكن الافضل لك أن تسأل شخصا آخر من مدرسي حاشية التجريد للبناني فان من يقرأ هذه الحاشية يسهل عليه وزن العلمين ، وتحديد الفرق بين العلمتين . وربما قال لك ان الاول هو القطب الشيرازي لان سهولة كلام الامام عبد القاهر وسلاسته تمتعهم من جملة العلامة الاول . وان شئت ان لا تشتغل بهذه المسألة فهو أفضل من ذلك الافضل ويكون أفضل التفضيل الاول على غير بابه والسلام . واتمنا المهم فيما نحن بصدده ان الارادة السليمة ، والطبيعة المستقيمة ، يمكنها أن تميز الملح النظيف من الوسخ وتنتهي بتقديم التنظيف الى الضيف من أول الأمر ، بدون احتياج الى اصدار أمر ، وقس على على ملح الطعام بقية الاملاح كالنحو ملح العلم والعلماء ، ملح العالم وهكذا كل ما يحتاج اليه في اصلاح الاعدية بدنية كانت أو روحية دينوية كانت أو دنيوية . اما اذا كنت لا تميز ولا تفهم الا بأمر فتربص حتى يأتي الله بأمره والله شديد العقاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الاحتفال لتذكار تأسيس الدولة العلية ﴾

نرى الاوربيين في مصر يحتفلون في كل عام احتفالات عمومية لدولهم أهمها الاحتفال للجمهورية الفرنسية والاحتفال لاستقلال ايطاليا وان لهم في بلادهم من الضاية بذلك اصحاب ما ترى منهم في بلادنا حتى انهم ليحتفلون للرجال العظماء الذين خدموا الامة خدمة جليلة . وبلاد مصر عثمانية ولكنها مستقلة عن الدولة في ادارتها وعامة شعونها وقد زال على عهد الاحتلال أكثر ما يذكر المصريين بها حتى انها فقدت كانت التركية الزامية في مدارس الحكومة المصرية ثم صارت اختيارية ثم اضمحلت وتلاشت . وقد استحسن نفر من نجباء الترك المقيمين في القاهرة ان يحتفلوا في كل سنة بتذكار تأسيس الدولة العثمانية وتكونها في مثل الوقت الذي نودي فيه بعثمان الاول سلطانا وكان ذلك في ٤ جمادى الاولى سنة ٩٩٩ للهجرة الشريفة الموافق ١٧ يناير سنة ١٣٥٠ ميلادية وقد جعلوا هذا الاحتفال الاول على الحساب الميلادي ولا أدري أ كان ذلك عن اختيار للحساب الميلادي لانه بالاشهر الشمسية أم السبب فيه ان الفكر

أو العزم على الاحتفال كان متأخراً؟ والرأي الذي لا ينبغي التردد فيه ان يكون الاحتفال بعد هذا العام على الحساب الهجري

تألفت لجنة في ادارة جريدة (ترك) لاجل هذا الاحتفال فوضعت اللجنة قانوناً لتأسيس جمعية خيرية للعثمانيين الذين ايس لهم جمعيات خيرية في مصر وهم المسلمون على اختلاف شعوبهم ولغاتهم فان للتصاري العثمانيين جمعيات كثيرة منها عدة جمعيات للسوريين خاصة واحدة للموارنة وواحدة لاروم الارثوذوكس وواحدة لاروم الكاثوليك . والسبب في ذلك ان المسلمين متأخرون عن جميع أبناء الممل في الاعمال الاجتماعية حتى ان مسامي مصر لم توجد لهم جمعية خيرية الا من عهد قريب وكان سبب ايجادها مشعوذ أفرنجي ولكن قبض الله تعالى لها أفضل رجال مصر في هذا العصر خلقا وهمة فثبتت بثباتهم على شدة سعي المسلمين أنفسهم في اسقاطها ولو لم يكن لها مورد الامن اشترك المشتركون فيها لسقطت من زمن طويل فان الرجل الغني يشترك فيها وتمر عليه السنين انطوا ولا يدفع المبالغ الذي تبرع به وفرضه على نفسه . هذا وهم يرون كثرة الجمعيات المسيحية ويساعدونها وقد قضت الصعوبات التي مارسها الذين نهضوا بهذه الجمعية والوشايات التي وجهت اليهم من المسلمين - ومنها اتهامهم بأنهم يساعدون مهدي السودان في وقته - ان يجملوها خاصة بمسامي مصر فأصبح سائر المسلمين العثمانيين لا يمانون بصوابتهم أو ينكب في هذه البلاد التي لا تزال أوروبا تترف بانها عثمانية. لهذا كان تأسيس جمعية خيرية لمسلمي العثمانيين من أفضل الاعمال الدالة على ان روح الحياة الاجتماعية دببت في المسلمين أي في بعضهم، ولكن أعداء أنفسهم من المسلمين سيسعون في ابطال هذه الجمعية وتهمونها بمثل ما اتهموا بها اخوتهم المصرية من قبلها ونسأل الله ان يقبض لها من أهل الجهد والثبات ما يقبض لتي قبلها وان يهي لها أسباب النجاح والفلاح

دعت اللجنة نحو ثمانين رجلاً من العثمانيين من جميع الأجناس الى فندق الكونتنتال ، وأعدت لهم هناك مائدة كأحسن ما يؤدب للامرء والأقوال ، وبعد الفراغ من الطعام ، افتتح رئيس اللجنة الكلام ، (هو لطيف باشا سليم) فذكر ان الغرض من الدعوة قد عرف من الرقاع التي أرسلت الى المدعوين وقال انه دعى الى رئاسة الاحتفال الحاضر ولا يدري السبب في ذلك ثم تكلم كلاماً وجيزاً في سبب ترك مثل هذا الاحتفال في الاحقاب الماضية: والسنين الحالية أيام عز الدولة ومجدها، وزوغ شمس سعيدها ، والقيام به في مثل هذه الايام، وقد انحطت الدولة في نظر الأنام، ففسال

ما خلاصته: ان الذي يسبق الى الأفهام ان الاحتفال باستقلال الدولة العلية الآن ينطبق على المثل « بعد خراب البصرة » فان هذه الدولة التي أسسها قوم ساقهم حب المعالي الى اذلال الامم ودوس هام الدول بسنايك خيولهم فأقاموها بالقوة القاهرة والسيوف البائرة قد وصلت الى درجة من الجود والفخر لا نملوها درجتهم لم يحتفل في أيام عزها أحد بتذكار استقلالها . ثم طرأ عليها الترف والفساد فضيقت وانحطت وقامت دول الغرب تهددها بالحمو والاقراض — وذكر من مجد دول الغرب وتقدمها — وفي هذه الحالة التي ترى فيها الدولة في التزعج تحتفل بتذكار استقلالها . ألا يصح ان يقال ان هذا « بعد خراب البصرة » (قال) ماذا يريد بهذا الاحتفال الآن هل يريد ان نتذكر مجد مضى وانقضى وننسى أنفسنا ونخدعها بما لا يفني عن ضعفنا شيئاً؟ أم يريد ان نرى الدولة ونؤوبها ونبكي على عزها ومجدها؟ ثم قال انه لا يريد ان يسي الخاضرين ويوقمهم في اليأس فانه يوجد في العثمانيين الآن من الفصحاء وأصحاب الأقلام من يرجي فيهم الخير للدولة . وختم كلامه بقوله انه قد أسست في القاهرة جمعية خيرية وأشار الى قانونها بين يديه وان جمعية الاحتفال عهدت اليه بأن يكلف جلال الدين بك عارف بالقاء خطبة تركية وصاحب المنار بخطبة عربية . فقام جلال الدين بك فتلا خطاباً مسهباً مكتوباً في ورقات صنفق له القوم في أثناءه سراراً . ثم قام هذا العاجز منشى المنار وخطب خطبة عربية أرتجالية سر العثمانيين عامة والمصريين منهم خاصة اعتمدا لها واختتامها بالدعاء للسلطان عبد الحميد أيد الله دولته ولم يذكر اسم الرئيس والخطيب التركي .

وقد لحقت بعض الجرائد الخطبة فرأينا ان نقل تلخيص جريدة الراوي لانه لم يكذبنا من الافكار الأساسية التي قلناها شيئاً مهما الا قولنا ان العثمانيين أنشأوا يشتغلون بتحصيل العلم لسا علموا انه في هذا العصر قوام الدول وأساس القوة لذلك نتيج كلمتين مما جاء في تلك الجريدة ولنا الحق في ذلك لانه كلامنا هو :

تحتفل اليوم بتذكار استقلال دولتنا العلية العثمانية وقد دعيت الى الخطابة فرأيت ان أنجي على مقاله سعادة رئيس الاحتفال في فاتحة المقال وهو كلمتان — كلمة في معنى الاحتفال وكلمة في الدولة التي تحتفل لتذكري استقلالها وتكونها

انما يراد بالاحتفال احياء الشهور بمجد من يحتفل لاجله والتذكير بتاريخه الحميد، وهل نحن اليوم في حاجة الى احياء هذا الشهور وتجديد هذه الذكرى؟ وهل لدولتنا العلية تاريخ مجيد تستحق به ان تحتفل لتذكار تاريخها وتمثيل ماضيها؟ وماذا لم يسبق للعثمانيين مثل هذا الاحتفال في الزمن الماضي

لاشك اننا اليوم أحوج الى مثل هذا الاحتفال منا في الزمن الماضي أيام مجد الدولة الاكبر فان احياء الشعور بمجد الدولة وتذكر تاريخها يبعث فينا روح النهوض لتأييد استقلالها ، وتدارك ما فرط من خطأ بعض رجالها ، وأما سبب تأخيرها الى اليوم فهو ان مثل هذا العمل لم يكن يمهّد في بلادنا وأما هو شيء استفدنا في هذا العصر من الأوروبيين فأننا نرى القوم يحتفلون لتذكير بقيام دولهم وباعمالها العظيمة ويحتفلون مثل ذلك لرجالها العظام من الفاتحين وغيرهم

والدولة العلية العمانية اسم عظيم في الدول ووطأ تاريخ مجيد يحق للمعاني ان يشتخر به ، يعلم ذلك من النظر في كيفية تكوينها ومن سيرتها الحميدة في نشأتها يذهب الذين لا يعرفون من التاريخ الاظواهره الى ان هذه الدولة قامت بالقوة والقهر والصواب انها قامت بالفضيلة فان تلك الفئة التي جاءت مع أميرة السلطان عثمان الأول من بلاد ارمينيا الى بلاد الاناطول ونصرت السلطان علاء الدين السلجوقي وايدته ثم بنت دولة عظيمة على اطلال دولته بعد سقوطها لم تكن من القوة والكثرة بحيث تمكك بلاد الفرس وبلاد الروم وجزء أعظيا من بلاد أوروبا. واننا نعلم ان السلطان محمد الفاتح قد حاصر القسطنطينية العظمى بثلاثمائة رجل ونبغ على عددا هل يد: (رض) تقريبا ثم فتحها وهي أمتع مدينة في الأرض وأهلها كانوا أكثر من الترك عدداً وأحسن عدداً وأكثر اطلاعا وعلماء. ولكن العمانيين كانوا متصفين بالفضائل التي أهمها الاتحاد الذي كان الروم محرومين منه يومئذ . فقد نقل انهم كانوا يتنازعون في المسائل الدينية والفتاح على اسوار المدينة حتى ان بعض رجال الدين قال : لأن أرى تاج السلطان محمد في مذبح كنيسة أياصوفيا أحب اليّ من ان أرى فيه كمة (طاقة) على رأس كردينال من كرادلة الكنيسة الغربية لانهجوا من القول بان الدولة قامت بالفضيلة لا بمجرد القوة والقسوة فان القوم كانوا في حال بدادة فجاءهم الاسلام فجمع كلهم وهذب نفوسهم حتى كان ملوكهم الأولون على مقربة من سيرة الخلفاء الراشدين فقد نقل المؤرخون ان المؤسس لهذه الدولة السلطان عثمان الذي ترون صورته امامكم الآن لم يترك لورثته الاحلة وعمامة مضرجة بالدم والمهود في الفاتحين المؤسسين لامالك بالقهر والقسوة ان يتركوا القناطير المقنطرة من الذهب والجواهر والاثاث والماعون

اماسيرة هذه الدولة الحميدة قائما تعلم من النظر في وجه طاعة الانسانية اليها عند تكوينها ومن سيرتها في بلادها . اما وجه الحاجة الي دولة مثلها في زمانها فتم

أيها السادة تعرفونه من الوقوف على تاريخ الأمم التي تأسست الدولة في بلادها هذه الدولة مؤلفة من أمم وشعوب وقبائل لها لغات مختلفة واديان مختلفة ولكنها الدولة مسلمة وأكثر شعوبها اسلامية وأهم عناصرها الأولى المسلمون والروم. فاما المسلمون فقد كان ملكهم تمزق كل تمزق فاما الدولة العباسية فقد كان التنازع قوضوا صرحها ثم زحف الصليبيون على بلادها من كل جانب وأما الدولة الفاطمية فكانت أيضا قد زلزلت زلاها ، وهددت من الصليبيين بزوالها ، ولا أعد ملوك الطوائف والممالك في عداد الدول فاتهم كانوا أشبه بالبيوت (العائلات) منهم بالدول — يقوم في البيت رجل عظيم فيجعل له ذكراً ومجداً ثم يسقط فيسقط البيت بسقوطه ولا يبقى فيه الا أثره . فدول الاسلام قبل العثمانيين ثلاث الاموية والعباسية والفاطمية وقد كانت هذه الدول اضمحلت وذهب الرجاء منها وبذلك كان المسلمون في حاجة

الى دولة جديدة يجمع كلهم وتحمي حوزتهم

وأما الروم فقد كانوا في ذلك الوقت أسوأ حالا من المسلمين ولولا ذلك ما تيسر للترك تفريق شملهم والاستيلاء على بلادهم وفتح عاصمتهم بعدد قليل . ذلك أنهم لم يكونوا أقل من العثمانيين عدداً ولا علماء بالحروب وانما كان نقصهم ما كان عند العثمانيين من الفضيلة والوحدة فان فساد الاخلاق والتنازع في الدين لا يبقى للأمم بقية

سار العثمانيون في تأسيس دولتهم بما تقتضيه الفضيلة الاسلامية من العدل بالنسبة الى غيرهم من الدول الفاتحة فقد اقرروا أهل الملل المخالفة للمتم على اديانهم ولغاتهم وعاداتهم بل جعلت لهم امتيازاً يتمتعون به الى الآن حتى أنهم يفضلون المسلمين في ذلك ببعض الامور . وكان يسهل على هؤلاء الممتازين ان يرتقوا في ظل عدل هذه الدولة وفضلها وتحت حمايتها الى أقصى ما في استعدادهم

فدولة لها مثل هذا التاريخ المجيد يصح لابنائها ان يفتخروا بها على اختلاف مللهم ومحلهم وان يحتفلوا لتذكار تأسيسها واستقلالها . ونعود الى ذكر فائدة الاحتفال

قلنا ان الفائدة في هذا الاحتفال هو احياء الشعوب بمجد الدولة والتذكير بتاريخها لأجل السعي في استحياء ما كان نافعاً واجتباب ما كان ضاراً . وقد تكلم رئيس الاحتفال عن ضعف الدولة واحاطة الاخطار بها تبيينها وتذكيرها ولكنه لم يوفقنا في اليأس بالمرّة فقد أعرب عن رجائه ببعض فضلاء الامة . ونريد على ذلك فنقول إنه لا بأس من الدولة

فإنها بفضل الله لا تزال ذات قوة عسكرية يشهد لها الأعداء وهي قادرة على حماية الأمة وإنما يتقصها قوة هي أم القوى في هذا العصر وهي قوة العلم والصناعة قلنا إن هذه الدولة قامت بقوة الفضيلة الفطرية والدينية وقد كانت هذه القوة كافية لسيادة صاحبها على جميع الأمم إذ كانت متساوية في الجهل . ولكن الزمان قد تغير وصار كل شيء فيه مبنياً على العلم والصناعة ولذلك تأخرت الدولة عن غيرها فأنها لم تكن في يوم من الأيام دولة علم وكيف تكون دولة علم وهي لم تكن لها لغة إلا اللغة البدوية التي لا قواعد لها ولا تنسج للعلوم والفنون . إن اللغة الشامية العذبة التي تعلم الآن قد وضعت قواعدا النحوية والصرفية أثناء القرن الماضي فأين العلم من أمة وإقامها القرن الماضي وليس لها لغة تعلم بالقلم والكتاب؟

فأساس الإصلاح الذي نطلبه لحفظ استقلال الدولة هو العلم . فالعلم هو الذي يقوي شوكتها والعلم هو الذي ينجي روثها والعلم هو الذي يجمع كلمتها، أرايتم هذه الشعوب المتفرقة والملل المختلفة لا يمكن أن تكون أمة واحدة إلا بالعلم، العلم هو الذي يقرب بين البعداء، ويوصل الأفكار بالأفكار، وهو الذي يمتاز به الإنسان فكل من كان أقرب مني فكراً كان أقرب مني وداً وأناي لأفضل معاملة من لا يجهمني به غير صلة الإنسانية على معاملة من يجهمني به كل صلة حتى صلة الدين والنسب القريب إذا كان الأول قريباً مني بفكره وقلبه، والآخر بعيداً عني بقلبه ولبه، لكن العلم الناقص ربما كان شرّاً من الجهل البسيط فإن الجاهل البسيط يكون على شيء من سنة الفطرة يستقيم به عمله بعض الاستقامة ولكن ناقص العلم لا يستقيم على الفطرة ولا يحسن الصناعة العلمية

أقول هذا لأنني أرى كثيراً من الناس يحصرون التمسك في إصلاح الدولة بالأحكام على القاضين على زمام الأحكام فيها وما هؤلاء الحكام الا طائفة من الأمة فاذا صلحت الأمة بالعلم والتهذيب فأنها تصالحهم لا محالة . تشكو الأمة من الحكومة وانا السنأمة في الحقيقة ولا يمكن أن تكون أمة إلا بالعلم والتهذيب العام والدولة غير قادرة على تعميم التعليم فملى العقلاء منان يسموا في ذلك لاجل تكوين الأمة . ان لنا صورة الأمة وهي الافراد المجتمع ولكن ليس لتأمنها وهو الافراد المتحدة . فاذا كانت هذه الصورة التي أمامكم هي السلطان عثمان مؤسس الدولة فهو لاء الافراد الذين ترونها في البلاد العثمانية هم أمة لها ان تطالب بحقوق الأمم هذا ما قوله واختصر القول خوفاً للمال واختم قولي بالدعاء الى الله تعالى بان يؤيد لدولة العلمية ويوفقي سلطاننا الاعظم عبد الحميد خان ورجال دولته الى ما فيه خيرها وحفظ مجدها آمين .